الباب السادس

(الشقاق بين الزوجين)

(أسبابه ومعالجته)

إن الارتباط كما مرّ معنا أمر فطري بين الزوجين، والشقاق أمر عرضي، ولكن يجب حله بالعدل والعودة بالحياة الزوجية إلى الوفاق وهو الأصل. وعندما يمشي الناس على ضوء هدي الله تعالى وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، فلا مشاكل إذن بينهم، وإن حلّت فسرعان ما تزول. أدّبنا الإسلام العظيم على أن نحبّ الله تعالى ورسوله عليه السلام وأن نحب المؤمنين جميعاً، ولقد بيّن لنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أن الإيمان مرتبط بهذا الحب، فلا إيمان بدونه حيث قال: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»، فلا يكون الإيمان قوياً كاملاً ولا تكون دعائمه ثابتة راسخة إلا بالحب للمؤمنين، وعدم البغض لهم وبالتجاوز عن هفواتهم، ولذلك عاش المجتمع الإسلامي الأول حياة مطمئنة سعيدة، فلا أحقاد ولا ضغائن انطلاقاً من هذه المبادىء السامية الهادية.

وما ظهر الشقاق وانتشر إلا عندما ضعف الوازع الديني، ومال الناس مع أهوائهم، فحقق الشيطان عليهم ظنه فاتبعوه فأهلكهم. صحيح أن اختلاف الأسر والبيئات في الثقافات والعادات يؤدي إلى بعض المشكلات ولا سيما في أول الحياة الزوجية ولكن ذلك كله

سرعان ما يتلاشى ويزول بسبب الوعي الديني والمفهوم الإسلامي، فإذا ما عرف سببه وحضر علاجه بالحكمة الإسلامية والموعظة الحسنة تلاشى الخلاف، وزال الشقاق بعون الله تعالى، وما أجدر هذه الأمة الإسلامية بجمعيات خيرية إصلاحية في كل حي مسلم تسارع إلى الوفاق والائتلاف، وتعالج المشاكل قبل أن تتفاقم، وتحل الخلاف قبل أن يستحكم. وبذلك تحيا الأمة حياة كريمة ويسعد المجتمع بظل شرع الله من جديد كما سعد به من قبل وعسى أن يكون ذلك قريباً بعون الله الكريم. وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الأول

(أهم أسباب الشقاق)

إن لكل امرىء شخصية خاصة به ثمرة ظروفه التي عاشها والتربية التي ربي عليها ولكل إنسان إيجابياته وسلبياته، محاسنه وعيوبه، وقد ورد في حديث قدسي: (والمرء لا يخلو من عيب)، وعنه ﷺ أنه قال: «كلّ بني آدم خطّاء» وما العصمة إلا للأنبياء عليهم السلام. هذا وأن لكل مجتمع إنساني طابعه ومشاكله وما ينطبق على مجتمع ما قد لا ينطبق على آخر، والحكمة وضع كل شيء محله وإعطاء كل داء دواءه، وسوف أُعدّد أهم أسباب الشقاق في مجتمعاتنا ثم أُفصّلها بعون الله مع كيفية معالجة كل مشكلة.

أ ـ الأسباب النفسية وتشمل:

١ ـ ضعف الوازع الديني.

٢ ـ الاختيار الخاطىء.

٣ ـ الجهل بالحقوق الزوجية وعدم الالتزام بها.
٤ ـ العقد النفسية عند الزوجين أو أحدهما.

ب ـ الأسباب المادية وتشمل:
١ ـ الفقر.
٢ ـ الغنى.
٣ ـ الكسل وعدم تنظيم الوقت.

ج ـ الأسباب الصحية وتشمل:
١ ـ المرض ومنه (الحيض والنفاس).
٢ ـ عدم تحقيق الرغبة الجنسية.

د ـ الأسباب الاجتماعية وتشمل:
١ ـ تدخل أهل الزوجة.
٢ ـ تدخل أهل الزوج.
٣ ـ الاختلاط والسهرات العائلية.
٤ ـ التقليد الأعمى.

الفصل الثاني

(الأسباب النفسية ومعالجتها)

نفس المرء هي المحرك والدافع لأفعاله، وعن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1]، فالنفس أو القلب عندما تصلح تصلح أفعال المرء وتسمو أخلاقه، وتزول مشاكله، وبالعكس فعندما تكون نفس المرء مريضة فاسدة فلا بد أن تفسد أفعاله وأول مرض وأهم مرض للنفس:

١ ـ **ضعف الوازع الديني**: إذا قوي الإيمان في ضمير المرء دُفع إلى كل فضيلة ورُدع عن كل رذيلة والإيمان الكامل يسمو بصاحبه إلى أسمى الأخلاق، فعنه ﷺ أنه قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» وتعظيم الله تعالى ومخافته رأس الفضائل وأسمى الشمائل، فقد ورد: (رأس الحكمة مخافة الله)، وأن الذي يخشى الله تعالى لا يظلم أحداً من خلقه فكيف يظلم زوجه وهي أمانة عنده!، وقد أوصاه الله تعالى بها خيراً بقوله: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾[2]، وعن النبي ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[3]، وكم سمعت برجال مؤمنين صالحين قد ابتلاهم الله تعالى بزوجات سيئات فصبروا

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة النساء: ١٩.

(٣) رواه البخاري.

عليهن وتحملوهن لوجه الله وهم يقولون: رضينا بقضاء الله وصبرنا في سبيل الله، ولا نريد أن يبتلى بهن غيرنا، وربما لم يصبر صبرنا. كما هناك مؤمنات ابتلوا بأزواج مفسدين فصبروا عليهم لوجه الله، ولم يطلبن الطلاق رضاء بقضاء الله وتفويضاً إليه. فالإيمان القوي يحيا الناس في ظلاله حياة سعيدة، وتحل به كل مشكلة، والمؤمن يحمد الله على السراء والضرّاء، ويصبر على اللأواء، وعنه ﷺ أنه قال: «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»، وعنه أيضاً: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»، وهكذا ينطلق المؤمن في الحياة هادئاً مطمئناً صابراً محتسباً، راضياً مبتسماً محباً لخلق الله، رحيماً بعباده، مسامحاً لذنوبهم، ساتراً لعيوبهم. أما ضعف الإيمان، ومرض الوجدان، فلا سعادة معه ولا ارتباط، وصدق شوقي إذ قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحيِ دينا

ومعالجة هذا السبب تكون بالتوبة عن المعاصي وبمحاسبة النفس على المخالفات، فإنها تظلم الوجدان، وتضعف وازع الإيمان كما قال ربنا الرحمن: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[1]، وعنه ﷺ: «إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء» فبكثرة الاستغفار مع الندم والاعتذار، وبكثرة ذكر الله تعالى مع تلاوة آياته والتفكر في عظيم مخلوقاته يقوى الوازع الديني، ويحيا الضمير

(١) سورة المطففين: ١٤.

الإنساني كما قال سبحانه: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾، ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**﴾، وعن النبي ﷺ أنه قال: «جدّدوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا الله». كما أن الغفلة عن صلاة الجماعة وحضور مجالس العلم يوقع النفس في الوحشة والغفلة، وقد عرفت إنساناً كثير المشاكل البيتية قبل توفيقه للجماعة ومجالس العلم.

٢ ـ الاختيار الخاطىء: إن الذي يُبنى على أساس غير متين، فلا يُعجب من تصدّع بنيانه وتهدّم عمرانه. والذي يتزوج بدون اختيار لصاحبة الدين والخلق، فلا يُستغرب شقاوته بعد ذلك وخسرانه، وقد حذّرنا رسول الله ﷺ من سوء الاختيار في الزواج فقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1] أي: خسرت وهلكت إن لم تختر صاحبة الدين، وأمرنا عليه السلام أن نزوّج صاحب الدين والخلق بقوله: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[2]، وعنه أيضاً: «من تزوج امرأة لعزّها لم يزده الله إلّا ذلّاً، ومن تزوّجها لمالها لم يزده الله إلّا فقراً»[3]، ويقول أيضاً عليه السلام: «لا تزوّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهنّ أن يرديهن، ولا تزوجوهنّ لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن... الحديث». وإذا وقع الأمر فلا بد من الصبر، وعسى الله أن يؤدم بين الزوجين على مر الأيام، ويتحقق الوئام على انصرام الأعوام، وبالتوبة إلى الله والرجوع باضطرار إليه يستجاب الدعاء ويحل الهناء وتزول اللأواء. والمرأة نعمة من الله تعالى على

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) سبق تخريجه.

عبـده فهي تصونه عن الحرام، وتهيىء له الشراب والطعام وتربي له الأولاد وترعى له الأرحام، وقد علّمنا رسول الله ﷺ كيف نتصرف في حياتنا الزوجية فقال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة ـ أي لا يبغضها ـ إن كره منها خُلُقاً رضي منها خُلُقاً آخر». والصبر ثمنه الجنة عند الله والرفعة لديه والمغفرة. وكذلك المرأة المؤمنة صابرة على بلائها، راضية بقضاء ربهـا طاعـة لزوجها، ساعية إلى إسعاد بيتها لتنال رضوان الله وجنته ومغفرته، والدنيا عند المؤمن دار ممر إلى دار مقر، وهي ظل زائل عما قريب حائـل، والله تعـالى وعد بقوله: ﴿**فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا**﴾. ومع الأيام تتقارب الأفكار، وتزول الوحشة، وتتلاشى الكلفة، ويصبح المكروه محتملاً عادياً، والمثل لكل منهما يقول: (لا تعرف خيره حتى تجرب غيره) فربما كان الثاني أشد سوءاً.

٣ ـ الجهل بالحقوق الزوجية وعدم الالتزام بها: لو أُنصف الناس لاستـراح القـاضي كمـا يقولون. وأقول لو أنصف الناس لاستراحوا وأراحوا، ولو سلك الناس طريق الله المستقيم لنجوا من كل شر وعذاب أليم. فقد أبان الله تعالى لنا الحقوق والواجبات وشرح المصطفى عليه السلام أسس الحياة الزوجية السعيدة على التمام وما جاءنا الشر إلا من طريق المخـالفة وصدق الله العظيم: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم**﴾. ولقد دعانا ربنا تعالى إلى الحياة الكريمة الطيبة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعـاكم لما يحييكم**﴾ فانحرافنا هو رأس البلاء وتقصيرنا في أداء الواجبات هو عين الشقاء، ولن يغير الله حالنا إلا إذا غيرنا نفوسنا: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾، وإن مما يؤسف له أشد الأسف أن أكثـر الشبان في هذا الزمان يسعون إلى الزواج قبل فهم

المبادىء الإسلامية في الحياة الزوجية ومعرفة الحقوق والواجبات الأسرية، وكأن القضية شيء عادي أو أنها شيء بسيط بديهي. فلا غرو بعد ذلك أن نرى المشاكل التي لا تحصى والخلافات التي لا تعد حتى اتسع الرقع على الراقع، واختلط الحابل بالنابل.

فالإنفاق مثلاً واجب على الرجل ولكن باعتدال ودون إسراف ولا تقتير، ولكن المرأة الحمقاء ومن خلفها أهل أشد حمقاً منها يأبون هذا الاعتدال في سبيل التقليد الأعمى للآخرين والظهور في مظهر الموسرين، ومن هنا تكون أسباب المشاكل التي يمكن حلها لو طبّق الناس منهج الله المستقيم: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾[1] كما أن النبي ﷺ أجاز للضرورة كذب الرجل على زوجته، وكذبها عليه من أجل التوفيق بينهما، فلو طلبت ثوباً لا تمكنه ظروفه من شرائه جاءها بالثوب المناسب وقال: إن ثمنه كذا وكذا حتى ترضى ويزول الخلاف، والمثل يقول: (المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيء قدير). وإن حسن العشرة من حقوق المرأة: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾، فلو التزم الرجال بهذا لما كان للخلاف مجال وفي الأمثال: (لا يهرب قط من بيت عرس) وكم من امرأة مظلومة عند زوجها فلا إكرام ولا حسن كلام ولا تقدير ولا احترام. فتراه يعيش في برجه العاجي وقلبه الصخري، وكأن لديه حيوان يعلف ولا يحتاج إلا إلى طعام وشراب وقد نسي هذا الغافل أن لديه إنساناً فارق الأهل والأقارب ويحتاج إلى الرحمة والعواطف. ان المرأة ـ كما علمنا خيرة البشرية محمد ﷺ ـ أمانة عند الرجل ونعمة من الله عليه بها يكف المرء نفسه عن الحرام وتعد له الشراب والطعام وتأتيه بالأولاد

(١) سورة الفرقان: ٦٧.

والأحفاد وهي مربية للأجيال وصانعة للمجتمعات وشكر النعمة سبب لدوامها والابتسامة مفتاح للمحبة ولاستمرارها. والتطهر والتعطر من واجب الزوجين تجاه بعضهما البعض ولكن الغفلة باب الفرقة وقد جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطلب الفراق من زوجها، ونظر الفاروق إلى زوجها ورأى حالته المزرية وشم رائحته الكريهة ففهم سر الخلاف، فأمر أحد الحضور بأن يأخذه ويغيّر منظره ورائحته بالتطهر، ولما عاد الزوج بغير ما ذهب لم تعرفه زوجته ولما أن تأكدت أنه زوجها عزفت عن فراقه، وأبطلت طلب طلاقه، كما جرت مثل هذه القصة مع الشيخ علي الطنطاوي عندما كان قاضياً في مدينة النبك من سورية، ونجح بنفس طريقة عمر وانتهت المشكلة بسلام، وحل الحب والوئام.

وإن الزوج يحب أن يرى بيته نظيفاً، وطعامه جاهزاً، وامرأته باسمة كيما تخفف عنه من عناء أعماله، وتنسيه همومه وأحزانه، ولكن بعض النساء تقصّر في ذلك كله، ولا ترعى حقه، ولا تهتم بحاله، فالبيت بدون نظافة وترتيب، والطعام بدون إعداد وتجهيز، ولا يحظى بابتسامة، ولا يسمع غير الشكوى فيزداد هماً على هم، ويحل الشقاء والغم، ولو عرفت المرأة واجبها وقامت به لحلّ الحب والسلام، واستحقت منه الحنان والإكرام، وعاشت الأسرة في سعادة وانسجام، أما حلّ هذه المشاكل فتكون أولاً بالعلم والفهم والصبر والحلم، وإنما العلم بالتعلم، والصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم، ومن صبر ظفر، ومن لجّ كفر، والحيلة والحكمة باب للتخلص من المشكلة والنقمة، ولا يخلو المجتمع بفضل الله من صلحاء وصالحات، وهداة وداعيات، ويمكن عن طريق هؤلاء أن تحل جميع المشكلات وتزول

الخلافات، والمرأة تفهم من المرأة كما أن الرجل يفهم من الرجل، فإن وجد الرجل عيباً نفسياً عند امرأته أو تقصيراً في متطلباته، فعن طريق امرأة عاقلة صالحة يمكن بعون الله الوصول إلى الحق والتخلص من سوء الخلق والطبع بالتطبع، والمهارة بالتدرب، وكذلك إن وجدت المرأة عيباً في زوجها أو تقصيراً لديه في حقها فيمكن بتوفيق الله تعالى أن يزول ذلك عن طريق قريب أو صديق حازم فاهم مخلص مصلح، فأبو الدرداء رضي الله عنه كان مهملاً لزوجته، زاهداً بالدنيا، وعن طريق سلمان الفارسي رضي الله عنه كان حلّ المشكلة والعودة إلى الطريق السويّة.

٤ ـ العقد النفسية عند الزوجين أو أحدهما: إذا صلحت الأنفس استقامت الأعمال، فمرض النفس هو الدافع إلى سوء الفعال، والتقصير من الآباء والمربين في حمل مسؤولياتهم تجاه الأجيال هو السر لكل مشكلة، والسبب في كل معضلة، ومن شبّ على شيء شاب عليه، والطبع غلب التطبّع، وفي هذا يقول الأستاذ أنور الجندي: (إن القوانين الوضعية والمناهج التربوية والتعليمية مقصرة وقاصرة وعاجزة عن استيعاب حقيقة النفس الإنسانية وعلاجها، وإن التعلل بالحضارة وتطورها أو بالعوامل الاقتصادية هذا كله لا يستطيع أن يقدم الإجابة الصحيحة لهذا الموقف، وإن منهج الشريعة الإسلامية، والتربية الإسلامية هما وحدهما صمام الأمان الوحيد الذي يُلزم الأب والأم بالرعاية ويجعل المعلم والمدرّس مربياً موجّهاً وقدوة. ولا بد من أن تصبح القيم العقائدية والأخلاقية في نفوس شبابنا ذات قوة فاعلة وأثر كبير، وأن تكون حدود الله وضوابطه لحماية النفس

الإنسانية والمجتمع موضع الرعاية والتطبيق)[1]، ثم يقول أيضاً: (لا بد كأساس من وجود تعليم مستقل للشاب وتعليم مستقل للمرأة، لأن كلاً منهما يجب أن يتلقى ثقافة خاصة لتشكله حسب تركيبه العقلي والجسمي وحسب هدفه ومسئوليته في الحياة، وحسب العلاقات بينه وبين الآخر على نحو يحقق حسن الاتصال بينهما على شرع الله ووفق الأهداف التي رسمها الدين الحق طبقاً لرسالة الرجل ومسئوليته في الحياة، ورسالة المرأة في البيت والأسرة والطفل)[2]. وسوف أضرب مثلاً للعُقد النفسية والمواقف التربوية حيالها مبتدئاً بسرعة الغضب وشدة الانفعال حيث انها من أكبر الأخطار التي توقد الخصومة والشجار وتثير العواصف في المسار الأسري، فكم من زوج أو زوجة يستثار لأتفه الأسباب ويقيم الدنيا ويقعدها ويوقع أشد العذاب ثم يأتي الندم بعد فوات الأوان وتأتي الحسرات بعد وقوع العقوبات وتذهب السكرة وتأتي الفكرة بعد تلك العجلة والسرعة. ودواء ذلك أن يعلم كل منهما أضرار الغضب وآثاره السيئة على الجسم والنفس والعقل وأخطاره البليغة على الحياة الزوجية. وإن هذه الصفة دليل ضعف لا قوة كما أخبر المصطفى ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[3]، ولقد دعانا ربنا في كتابه الكريم إلى كبح جماح النفس وتقليم أظافرها وترشيد مسارها بقوله: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**،

---

(١) و(٢) المرأة المسلمة في وجه التحديات ص: ٧٦-٨٧.

(٣) رواه البخاري.

الـذين ينفقـون في السـرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن النـاس والله يحب المحسنين﴾[1]. وعـرفنا أن النفس أمّارة بالسوء، والجنة لمن خالف هواها وسيطر عليها وقادها، **﴿وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى﴾**[2] فعلى المرء أن لا يستسلم للنفس بل عليه أن يضبطها مستعيناً بالله تعالى: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾**. والمثال الآخر عن التكبر وغلظة القلب وقد يدفع هذا الغرور والتعالي إلى أن يعيش أحد الزوجين في برجه العاجي، وبكرسيه الذهبي المتوهم، ومقامه الطاووسي المتصور، عن شريكه في الحياة فلا يعجبه أحد ولا يرضى عن تصرف ويشمخ فوق اللزوم، ولم يدر أنه المجرم الظلوم، والفـاسـد المـذموم، والشقي المحروم. وعلى من اتصف بذلك أن يسمع قول الله عز وجل: **﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾**، وقول النبي عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، وعلى المرء أن يعود نفسه التواضع مع الخلق كيما ينال محبة الخـالق واحتـرام خلقـه، وليسمع قوله تعالى: **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا﴾**، وعنه ﷺ أنه قال: «ثلاثة أقسم عليهن بالله: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه» وليتذكر كل إنسان أنه مخلوق ضعيف من ماء مهين، وأن مصيره تحت التراب، والكبر آخره العذاب، والمثال الأخير عن الغيرة الشديدة، والشكوك الكثيرة في غير ريبة، وهذه العقدة كم دمرت من بيوت، وفككت من أسر، وأشقت من

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

بشر. صحيح أن الإسلام يأمر بالغيرة المعتدلة، والمحافظة على الأعراض، ولكنه لا يرضى بمجاوزة حد الاعتدال والسير وراء الشبهات والاحتيال. وقبول الشكوك والارتياب من دون تثبت وتيقن، وقد نهانا رسول الله ﷺ عن الشك في غير ريبة، والقرآن الكريم حذّرنا من إساءة الظن بدون أدلة ومن التجسس بدون ضرورة، حيث يقول سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثمٌ ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾[1]، والشيطان حريص على تدمير الحياة الزوجية بوسوسته الطاغوتية وأساليبه الخبيثة الخفية كبحث أحد الزوجين في جيوب الآخر، والاطّلاع على أوراقه وتحرّكاته، فالمسلم حكيم كيّس فطن يحذر من تلك الأحابيل الشيطانية المدمرة، ويبعد نفسه وأهله عن مواطن الشبه. والمرأة العاقلة هي التي تتغاضى عن هفوات زوجها وتسعى لكسب قلبه بلطفها وإنسانيتها، أما الحمقاء فإنها تهدم بيتها وتظلم نفسها بنفسها وسوء تصرفها.

---

(١) سورة الحجرات: ١٢.

الفصل الثالث

(الأسباب المادية)

الفقر:

فقد أخبر عنه المصطفى ﷺ فقال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»، والفقر سبب للشقاء والدمار والشقاق بين الأزواج فلا بد من محاربته بكل وسيلة والقضاء عليه بكل همة. والفقر على قسمين:

أ ـ فقر نفسي: وهو الأخطر فترى صاحبه لا يعرف قناعة، ولا يشعر بنعمة، وتظلم الدنيا في عين صاحبه، ويعيش حياة بؤس وشقاء، وقد يكون صاحب هذا المرض غنياً في المادة، ولكنه غير قنوع ينظر إلى من هو فوقه مادياً فلا يشعر بقيمة ما أعطاه الله من نعم وبالتالي تكون يده مغلولة إلى عنقه، شحيح بنعمته حتى على نفسه وأهله، وهذا باب لمشاكل عديدة وخلافات مستمرة ومشاحنات مدمرة، والشيطان حريص على أن يدخل من هذا الباب كما قال رب الأرباب: **﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾**[1]، ويعرّفنا ربنا أن الشح طريق إلى التهلكة بقوله: **﴿وأنفقوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**، وعنه ﷺ أنه قال: «في كل يوم ينزل من السماء ملكان، ملك يقول: اللهم أعط منفقاً خلفا، وملك يقول: اللهم أعط ممسكاً تلفا»، والإنفاق على العيال

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

طريق إلى الجنة، وينال به الأجر من الله تعالى، وقد وعد الله بالخلف على النفقة بقوله تعالى: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ فعلى المسلم أن يتّعظ وأن يعوّد نفسه البذل والعطاء باعتدال، ولقد أعطانا ربنا العقول كي نستخدمها ولا نسير مع الهوى والنفس، وقد وصفها ربنا بقوله: ﴿**وأحضرت الأنفس الشح**﴾، كما قال سبحانه: ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[1]، وعنه ﷺ أنه قال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[2]، ولا بد لمحاربة الفقر النفسي من تقوية الإيمان بالله تعالى وتزكية النفس عن هذا الشح فإنه من المهلكات، والكرم بالتكرم كما أن الحلم بالتحلم، والجنّة لمن خالف هوى نفسه، والسعادة لمن قادها، والكريم محبوب عند الله والناس، والبخيل بعيد من الله والناس، شقي الدنيا والآخرة، والعاقل من يتذكر ويتدبر.

ب ـ **الفقر المادي**: وله أسباب كثيرة منها الكسل وعدم تنظيم الوقت، ومنها الجهل بقيمة العمل وفوائده على النفس دنيا وأخرى، وعلى المجتمع، ومنها المعاصي فإنها سبب لنقص الرزق، فعن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

وقد وعد الله المتقين بالكفاية بقوله: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**﴾[4]، وعنه ﷺ أنه قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجا، ومن كل كرب مخرجا، ورزقه من

---

(١) سورة التغابن: ١٦.
(٢) رواه مسلم.
(٣) سورة الطلاق: ٢.
(٤) سورة الطلاق: ٤.

حيث لا يحتسب»[1]، وقد يكون الفقر بسبب المرض والعجز عن الكسب وهنا يجب على الرجل والمرأة أن يصبرا على قضاء الله وأن يكثرا من الاستغفار فإن الله لن يتخلى عنهما، ولا يحق للمرأة أن تتضجر من قضاء الله تعالى فعن النبي ﷺ أنه قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي ويشكر نعمائي فليتخذ رباً سواي). وقد أوصى الله تبارك وتعالى رسوله عليه السلام بتسع: منها (القصد ـ أي الاعتدال ـ في الغنى والفقر).

٢ ـ الغنى:

وشروره أعظم من شرور الفقر فغالباً ما يؤدي إلى قسوة القلب، والعجب بالنفس، والغرور بالثروة، والكفران بالنعمة، وصدق الله العظيم: **﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾** ومن البغي التعالي على الآخرين والسخرية بهم، ومنه أيضاً اتخاذ الخليلات والإعراض عن الزوجة، ومن البغي التبذير بالنعمة بدل شكرها والمحافظة عليها من الضياع، وربما أدى إلى كثرة الزوجات وحصول الظلم والخلافات والمشاكل والمعضلات.

وعلاج هذه الحالة الإكثار من ذكر الله تعالى ليقوى الإيمان، ويعرف المرء أن الفضل لله وحده، والقوة كلها عنده، وأن المال اختبار للمرء والدنيا لو تزن شيئاً عند الله تعالى لما أعطاها اليهود والمشركين، فما الدنيا إلا ظل زائل وخيال حائل، والله تعالى بصير بنا وبأفعالنا، وإليه مرجعنا، وعليه حسابنا، وعلى المرأة أن تراعي الموقف وأن تصبر حتى يأتي فرج الله، وأن تتعامل مع زوجها بحكمة ومداراة، والله لا يضيع أجر المحسنين.

---

(١) الحديث.

الفصل الرابع

(الأسباب الصحية)

١ ـ المرض:

قد يقصر المرض عند الرجل، وقد يطول ويسبب اهتزازاً للحياة الزوجية، وقد يكون كذلك عند المرأة طارئاً أو عادياً كحالة (الحيض والنفاس والحمل)، والمرض الجسمي يؤثر على النفس ويمرضها أحياناً، والمثل يقول: (العقل السليم في الجسم السليم)، وعلى كل من الزوجين أن يصبر على مرض صاحبه إلى أن يأذن الله تعالى بالشفاء، والمؤمن ـ يرضى بقضاء الله تعالى ويأخذ بأسباب الشفاء بالمداواة والدعوات، وعلى الرجل أن يفهم أن الحيض والنفاس والحمل حالات تشبه حالات المرض، وقد توصل أحد علماء الطب (اميل نورك) إلى ما يلي: (ان ما يعهد من الحوائض عامة من الأعراض هي: الصداع والتعب والخلج (ألم العظام) والإمساك أحياناً، والغثيان، والتهوع في بعض الأحيان، وضعف الأعصاب، وتخلف المزاج، واضطراب المثانة، وسوء الهضم، وهناك نساء لا يستهان بعددهن يحسسن في صدورهن وجعاً خفيفاً يشتد أحياناً فيشعرن له بضربات عنيفة، وفي البعض تتورم الغدة الدرقية في هذه الأيام، مما يسبب فيهن البحة، وكثيراً ما يصبن بفتور الهضم وجهد التنفس)[1]، وقد وجد أحد الباحثين أن ٧٤٪ من النساء كنّ يقاسين

(١) الحجاب للأستاذ المودودي ص١٨٥ـ١٨٦.

الأذى أيام حيضهن، ولذلك منع الإسلام الطلاق أيام الحيض لأنه قد يكون نتيجة انفعالاته. فعلى الرجل أن يتنبه لهذا أشد الانتباه، وأن يصبر على زوجته، ولا سيما في تلك الفترات من الحيض والنفاس والحمل، كما أن على المرأة أن تراعي زوجها أيام مرضه، وأن تسعى إلى إرضائه ومداراته ومداواته إلى أن يحقق الله تعالى الشفاء، ويمنّ عليها بعيش الهناء، وقد ذكر لي أن رجلاً كاد أن يطلق زوجته في كل مرة تكون فيها حاملاً لأنها لا تطيق النوم معه وبخاصة في الشهور الأولى من الحمل.

وأشير هنا إلى أن بعض الأمراض المستعصية لا يرجى برؤها وقد يعجز الرجل معها عن القيام بمسؤولياته المادية والمعنوية تجاه زوجته، وقد لا تتمكن المرأة من الصبر الطويل حيال ذلك، وقد تقع في حرج شديد، ولذلك شرع الإسلام للقاضي أن يفرق بينهما إن طلبت ذلك.

٢ ـ عدم تحقيق الرغبة الجنسية:

غرس الله في الجنسين الميل إلى بعضهما، وشرع الزواج لإشباع رغباتهما عن طريق الحلال، ولكن هذه الرغبة قد لا تتحقق لسبب من الأسباب وهنا ينشأ الخلاف، ويحصل الاضطراب، فما هي هذه الأسباب وكيف نعالجها:

أ ـ العجز الجنسي أو العنة:

وهو ضعف الزوج عن القيام بدوره في عملية الجماع كما يلزم، وأسبابه كثيرة فالدكتور (وليم نولين) يرى أن السبب عضوي في ٥٠٪ من الحالات. وهنا يجب العلاج حيث يقول: (أول شيء يفعله المصاب أن يذهب إلى طبيب متفتح وقارىء ومتابع لأحدث التطورات

العلمية في العجز وأن يحذر من أطباء الغدد الصماء، والمسالك البولية، ونظريات العلاج الجنسي، ثم يقول: على الطبيب من ناحيته أن يدرس تاريخ الحالة كاملاً ويقوم بفحص كامل لجسم المريض، وعليه أن يركز على التاريخ الجنسي للحالة محاولاً أن يحدد إذا ما كان الرجل مصاباً بالارتخاء أم لا، وإذا ما كان العجز كاملاً أو جزئياً. وعلى المريض أن يحكي لطبيبه أدق التفاصيل... فإذا كان يحصل له انتصاب صباحي فقط فهذا دليل على أن الحالة سببها نفسي محض وليس عضوياً بحال. ثم يقول: وأهم مسببات العجز النفسي هي: التوتر والقلق، وعدم الثقة بالنفس، والخوف من الفشل. ومن دلائله الهواجس والأفكار الشخصية).

والعلاج عنده:

١ ـ لا داعي للجنس المنظم، فالمرء ليس ماكينة تدار، (وقد ورد في كتاب الطب النبوي ما يؤيد هذا إذ لا داعي للتكلف).

٢ ـ على المرء أن يترك المشاكل اليومية خارج المنزل وأن ينساها جهده.

٣ ـ مزاولة نوع من التسلية والاسترخاء كاللعب مع الزوجة والأطفال.

وأضيف على هذا الكلام الذي يؤيده الشرع أن كثرة الاستغفار والرجوع إلى الله عن المعاصي من أسباب القوة بأنواعها، كما وعد على ذلك سبحانه بقوله: ﴿**ويزدكم قوة إلى قوتكم**﴾ وبتقوى الله تعالى ينفرج كل كرب كما قال سبحانه: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ كما أن المداعبة قبل الجماع من أسباب الإثارة والقوة الجنسية، وقد أمر بها رسول الله ﷺ: «هلّا بكراً

تلاعبها وتلاعبك» وقد أشرت إلى هذا فيما مضى وأضيف هنا أن على الرجل أن يعتني بغذائه ويتناول التوابل والأسماك والعجة واللحم والأجبان الدسمة والبيض والموز، والمرأة العاقلة تتحبب إلى زوجها بملاطفتها له وزينتها وعطرها علاجاً له[1].

ب ـ سرعة القذف وعلاجه:

قد يحدث القذف بمجرد ملامسة العضو للفرج أو عند المداعبة أو عند التفكير في العملية الجنسية، والشاب الحديث السن قد لا يعاني منه مشكلة، فقد يعيد الكرة وتستمر أطول من الأولى عامة، ولكن المشكلة في غيره، وقد جاء في بحث لمجلة (طبيبك) أن القذف المبكر هو أكثر المشاكل الجنسية شيوعاً بين الرجال وهو من أعظم أسباب الشقاء في الحياة الزوجية، وغالباً ما تسببها زيادة الحساسية في الجهاز الجنسي، وقد يكون سببها عاطفياً، وهناك من المراهم المخدرة المفيدة والرجوع إلى المختصين أفضل، والحذر من الأصدقاء المتحذلقين، كما أنه يمكن مسح العضو بماء بارد أثناء المداعبة من حين لآخر حتى يتأخر الإنزال.

وأحياناً تكون المشكلة عدم حدوث القذف حتى نهاية العملية الجنسية، وقد يكون سببها اضطرابات عصبية أو نفسية وأحياناً استخدام بعض العقاقير العصبية، وعلاجه يتفق في أكثر أحواله مع العجز الجنسي والرجوع إلى الطبيب المختص أسلم.

ج ـ البرود الجنسي:

الذي يكون عند بعض النساء بسبب خوف المرأة من الجماع أو

---

(١) المشاكل الزوجية وحلولها: ١١١ـ١١٩.

الولد أو بسبب خلل في الوظائف الجنسية، وعلى الرجل أن يتعرف إلى المواضع الحساسة عند المرأة ليثيرها جنسياً، وقد أوضح السيد مرتضى الحسيني الزبيدي حلاً لبرود المرأة في كتابه (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين). فقال: إذا كان الزوج سريع الإنزال والزوجة بطيئة، فعليه أن يطيل مداعبتها ومن يعاني من هذه المشكلة أن يرجع إلى الكتب المختصة بذلك. وقد قال عليه السلام: «إذا جامع أحدكم أهله (زوجته) فليصدقها ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها»[1] والإسلام ينص على أنه لا يؤمن أحدنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وعندما يهمل المرء ذلك تحدث الاختلافات والشقاق، وعندما يحدث الوفاق المذكور ليلاً يستمر أثره في وضح النهار كما أن التقصير في الاهتمام بالزوجة وعدم المبالاة بمشاعرها وحصول لذتها قد يؤدي إلى زنا المرأة والعياذ بالله. وضياع العرض، وحصول أولاد حرام، وقد ورد في كتاب (تحفة العروس) لمحمود مهدي الاستانبولي ما يلي: (أخبرني أحد رجال الشرطة أنه عثر على زوجة شابة تزني، وكان لها زوج جميل، فاستغرب هذا الشرطي صنيعها، فلما سألها عن السبب قالت: ان زوجها لا يعرف فخذها، فكان دأبه جماعها دون مداعبة، مكتفياً بقضاء شهوته. ثم يقول راوياً عن أحد العلماء المتخصصين بالجنس: (من عادة كثير من الأزواج أن يتباعدا بعد الجماع مباشرة ولا سبب لذلك إلا الجهل والإهمال، فيدير الرجل وجهه ويستغرق في النوم، بينما تشعر المرأة بهبوط تلهفها تدريجياً فيحرم الزوج نفسه من أعظم الفترات العاطفية كما يعسر على زوجته استمتاعها)[2].

(١) نقلاً عن كتاب المشاكل الزوجية وحلولها ص١٢٥.

(٢) المصدر المذكور ص١٥٨.

٣ ـ الكسل وعدم تنظيم الوقت:

قد يوجد هذا الداء (الكسل) عند أحد الزوجين ويكون سبباً في وقوع الشقاق بينهما والمشاكل، فالرجل الذي يكسل عن القيام بواجباته تجاه زوجته وأسرته يتسبب في مشاكل لا داعي لها لو بذل بعض الجهد وحمل المسؤولية بعزم، فالمرأة تتطلب بعض المطالب، والبيت يحتاج إلى كثير من اللوازم، والأولاد كذلك لهم مطالبهم العديدة، ولا يمكن تحقيق تلك المتطلبات إلا بالهمة والعزيمة والابتعاد عن هذا الداء البغيض عند الله وعند رسوله وعند كل عاقل، وقد كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يتعوذ دائماً من هذا الداء ويقول: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

ويقترن الكسل غالباً بعدم تنظيم الوقت وبعدم الاهتمام بقيمته فترى بعض الأزواج يقضي الساعات الطويلة هنا وهناك، فحيناً في المقهى، وحيناً في السينما، وحيناً عند فلان من الناس، وقد أهمل زوجته دون مؤانسة، وترك أولاده دون رعاية أو كأن الله لا يحاسبه ولا يسأله ولذلك على المؤمن أن يفهم أهمية الوقت وضرورة تنظيمه، وخطر الكسل والعجز، وليعلم أنه مسؤول عن وقته أمام أحكم الحاكمين وأن له فوز الدنيا والآخرة بتنظيم وقت للعمل، ووقت للراحة، ووقت للزوجة كما ورد في سنته عليه السلام: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه» كما أن كسل الزوجة وعدم تنظيمها لوقتها يسبب لها مشاكل كثيرة فالبيت يحتاج لنظافة وترتيب، والزوج يهوى أن يجلس مع زوجته وينسى همومه، وقد تتكاسل عن ذلك وتتغافل ولا تهتم بتنظيم وقتها، فتكون المشاكل العديدة والخلافات.

الفصل الخامس

(الأسباب الاجتماعية)

كان الحديث في موضوع الشقاق وأسبابه ومعالجته مختصاً فيما هو قائم لدى الزوجين أو أحدهما، ولو اقتصرت المشكلة عليهما ولم يدخل غمارها الأهل والأقارب والجيران، إذن لحلّت بسهولة دون تعقيد، أو بجهود يسيرة، ومعلومات محدودة حول الموضوع، ولكن عندما يتدخل أفراد من المجتمع في شؤون الزوجين، فهنا غالباً الطامة الكبرى، والمشاكل المستعصية والمعضلة، ولو عقل الزوجان خطر هذا التدخل لأحجما عنه، وقد دلت الإحصائيات على أن لقاء الزوجين ببعضهما إثر المشكلة وتفاهمهما معاً دون تدخل عناصر المجتمع قد أدى إلى حل أكثر المشاكل وانتهائها وعودة الحياة الزوجية إلى طبيعتها العادية والماء إلى مجاريه الأصلية، فالخطر كل الخطر في تدخل الأهل والأصدقاء، ويجب الحذر كل الحذر من ذلك قبل أن يستفحل الداء ويعدم الدواء، ويتسع الرقع على الراقع.

١ ـ **تدخل أهل الزوجة**: لكل رجل أو امرأة إيجابياته وسلبياته، والمرء ليس بمعصوم، والناس ليسوا أنبياء ولا ملائكة، ولكل إنسان نفسيته الخاصة وعاداته التي اعتادها، فلا عجب أن يكون بعض الاختلاف في أول الزواج ولا بد من فترة زمنية حتى يفهم كل من الزوجين الآخر، ويتكيف معه ويعتاد عاداته، ولكن الذي يفسد الأمر تدخل أم الزوجة بعاطفتها على ابنتها أحياناً كثيرة، وبدافع الانتقام من الرجل أحياناً

أخرى وذلك عندما تكون هي معذبة مع زوجها وحاقدة على كل رجل (كما اعترفت العديد من أمهات الزوجات بذلك)، وعلى كلٍّ فعلى الزوجة العاقلة أن تحذر من هذا التدخل، وأن تحل مشاكلها مع زوجها دون تدخل الآخرين، كما أن على الرجل العاقل أن يحل مشاكله مع زوجته دون أن يحوجها إلى تدخل أهل أو أصدقاء.

ولا أنكر أن هناك بعض أمهات زوجات صالحات عاقلات، ولكن ما أقلهن، بل ما أشد ندرتهن، وكم من تدخل بنيّة طيّبة وعاطفة أدى إلى مفسدة وعاصفة أودت إلى خراب البيت وتمزّق الشمل، وأذكر حادثة جرت من رجل أخبرني بها فقال: كان عملي في ضاحية لبلدتنا، وكانت زوجتي معي سعيدة مرتاحة، ولكن أمها الطائشة الحمقاء حرصت على إبقائها في المدينة عن طريق دعوتها المتكررة إلى زيارتها والمكث عندها إلى أيام مما ضايقني وأزعجني كثيراً وجاءت مرة تطلبها للزيارة فأبيت الإذن لها، وهنا غضبت وصممت على تأديبي، وهنا ثار غضبي الشديد وصممت على طلاق زوجتي من أجل تأديب أمها التي تريد تأديبي، وهذا الذي حصل وانتهت الحياة الزوجية بالطلاق المؤبد، ولهذه القصة أمثال تتكرر مع الأجيال على مر الأزمان فما أحوج الأزواج إلى الحذر من ذلك، وما أحوج الزوجات إلى التفاهم مع أزواجهن دون تدخل الأهل والأصدقاء الذي يؤدي غالباً إلى تفاقم المشكلة بدل تسهيلها وإلى تعقيدها بدل حلها.

٢ـ تدخل أهل الزوج: إن أخطاء تدخل أهل الزوج في قضايا الزوجين أشد خطراً في بعض الأحيان، وقد وصف عليه السلام الحمو ـ أخو الزوج أو قريبه ـ بقوله: «إياكم والدخول على النساء. فقال

رجل: يا رسول الله ـ أرأيت الحمو؟ ـ قال: الحمو الموت»[1] والسبب بهذا الوصف أن الحمو يدخل بدون تحفظ، وبعد هذا تكون الأخطاء والأضرار، فإهمال أمر الدخول والتساهل في هذا التدخل من أكثر أسباب الشقاق ذيوعاً وانتشاراً وقد يظهر أحياناً بشكل محبة هذا الحمو لامرأة أخيه أو قريبه، وتعلقه بها وربما تعلقت به أيضاً، وما بعد النظرة والابتسامة إلا الموعد واللقاء الآثم، وأحياناً عن طريق حصول القتل والجرائم والهلاك والدمار، كما أن هذا التدخل من قبل أهل الزوج قد يظهر بصورة إصلاح ظاهري، ويوصل إلى خلق مشاكل وكره الزوج لزوجته وازدياد الخلاف بينهما، وكم سمعنا ورأينا وقرأنا عن ذلك، وواجب الرجل الوعي الحذر، ومعرفة أن للمرأة حقوقاً وللوالدين حقوقاً وللأخوة والأقارب حقوقاً، ولا يجوز أن يطغى جانب على آخر، وإنما يجب التوفيق بين هذه الحقوق على مقتضى شرع الله تعالى، وكم من أهل الزوجين تسبب في الكره والعداوة بينهما إلى أن حل الطلاق بعد الوفاق والدمار بعد العمار وأذكر قصة رجل عاقل كانت أمه تكره زوجته وتحسدها وتغار منها وفي كل يوم تشتكي له منها وقد وفقه الله إلى طريقة يرضي بها الجهتين بحنكة وكياسة، فقد اتفق مع زوجته أن يظهر أمام أمه الغضب من زوجته والسخط عليها ومحاولة ضربها وتأديبها ظاهراً كي ترضى أمه فإذا اختليا معاً أقبل على زوجته بالملاطفة والمؤانسة. والوقاية خير بكثير من العلاج وذلك بمنع أخوة الرجل وأقاربه على المرأة ولا سيما عندما تكون خلوة محرمة يوصل إلى الظنون والتهم وعلى الرجل أن يكرم والديه غاية الإكرام وأن يطيعهما في غير معصية الله تعالى كما ورد في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية

(١) رواه الشيخان.

الخالق» وعليه أن لا ينسى وصية الله تعالى بزوجه.

٣ ـ الاختلاط والسهرات العائلية: وهذه محنة للأسرة من أكبر المحن وأخطرها على الحياة الزوجية، وكم أودت بها وجعلتها أثراً بعد عين، فقد يعيش الرجل مع زوجه حياة سعيدة، تعجبه ويعجبها، وتحبه ويحبها، وليس ما يعكر الصفو عليهما إلا عندما حلت السهرات العائلية وما أدراك ما السهرات العائلية، يلتقي الرجال والنساء معاً في غرفة واحدة، ويتحدثون حديثاً واحداً، وينظر هذا إلى زوجة ذاك، وتنظر هي إلى زوج تلك، وتكون المباهاة والخداع، كل يريد أن يظهر أنه الرجل الأفضل، وكل امرأة تريد أن تبدي أنها الأجمل والأعقل، ويلعب الشيطان دوره الخطير، ويضع مخططه المدروس للتدمير والناس عنه في سهو كبير. وفي الحديث: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[١]، وقد ورد في كتاب (حسن الأسوة) للعلامة صدّيق حسن خان: (ووجه كونهن فتنة، لأن الطباع تميل إليهن كثيراً، وتقع في الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا)[٢]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الدنيا حلوة خضرة، وان الله مستخلفكم فيها فينظر ماذا تفعلون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[٣]، ويقول أيضاً: «ان المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان»[٤]، والدواء النافع لهذه الفتنة كما يصفه عليه السلام بقوله: «إذا رأى أحدكم امرأة، فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته، فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في قلبه»[٥]، وعلى المرأة المسلمة أن تلبي دعوة زوجها إليه

---

(١) رواه الشيخان.
(٢) نقلاً عن كتاب تحفة العروس ص٣٢٩.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.

متى طلبها دون تأخر، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا تقبل منهم صلاة، ولا تصعد إلى السماء ولا تجاوز رؤوسهم: امرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه... الحديث»[1] وهكذا ينير الإسلام لنا الطريق الذي يبعدنا عن الفتن والمشاكل والشقاق والزلازل، وقد يستغرب بعض الناس في هذا الزمان ذلك ويعتبرونها تأخراً وجموداً، ولحرياتهم تقييداً، مع أن كاتبة عاقلة أمريكية تقول تحت عنوان (امنعوا الاختلاط وقيدوا المرأة) وهي صحفية شهيرة تدعى (هيلسيان ستانسبري) تقول: (ان المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، فعندكم تقاليد ـ تحتم عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.. لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب)[2]، ويعلق الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي ويقول: (ان الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الغربي هددت الأسر وزلزلت القيم والأخلاق ومن أهم الدسائس التي دخلت على أمتنا عن طريق التضليل العلمي)[3]، ويرد على من زعم أن الاختلاط يرهف العاطفة، ويصرف الطاقات المكبوتة بأن الغرب يزداد به شبقه وتتدمّر أُسره.

(الطريقة القرآنية في حل الخلافات الزوجية)

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل**

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٢) نقلاً عن كتاب تحفة العروس ص٣٣٩.

(٣) نفس المصدر.

الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيرا. وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما، إن الله كان عليماً خبيراً﴾[1]. ان هذا النص القرآني الحكيم خير دستور لحياة الأسرة، وأفضل منهاج تسير عليه، كيف لا وقد صدر عن حكيم عليم. أبان الله سبحانه وتعالى أن مهمة القيادة في البيت ومسؤولياتها ملقاة على الرجال فهم القوامون على النساء بما وهبهم الله من عقل يغلب على العواطف، وقدرة على التصرف في المواقف، وبسبب إنفاقهم على البيت ومن فيه، وعلى المرأة الطاعة والانقياد لأهمية هذه الطاعة. يقول ﷺ: «لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها»[2]، فلا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم نافلة وهو شاهد إلا بإذنه، وعنه ﷺ: «لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها (يريد جماعها وهي على ظهر قتب)»[3] أي: الرحل الذي يوضع على ظهر الجمل. وقد وصف الله المرأة المؤمنة الصالحة بأنها قانتة أي مطيعة للزوج حافظة للغيب أي لما يجري بالغيب عن الناس، والمراد أسرار زوجها وما يجمل ستره، وحافظة لنفسها عن الفاحشة ولمال زوجها عن التبذير والإسراف ثم وضع الله الطريقة التي يجب أن تسلك مع المرأة العاصية للزوج، المتمردة عليه:

---

(١) سورة النساء: ٣٤-٣٥.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك.

١ ـ بالموعظة الحسنة والتخويف من عقاب الله والسعي من أجل إصلاحها وإرشادها.

٢ ـ فإن لم يفد النصح فالهجر في المضجع بأن يوليها دبره ويشعرها بصبره وقوته وأنه قادر على تأديبها وغير خاضع لإغرائها فهي عقوبة معنوية تصلح لأكثر النساء.

٣ ـ فإن لم ترتدع ضربها ضرباً غير مبرح في مكان غير الوجه أو البطن أو القلب، وقد فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالضرب بالسواك ونحوه كاليد والقصبة الصغيرة، فهو ضرب لا يكسر عظماً، ولا يهشم لحماً، وقد نفر الشرع من الضرب وجعله آخر الدواء فيحسن أن نتجنبه وسعنا، فقد يؤدي إلى فتنة كبيرة ومصيبة أليمة. وقد ورد في (تفسير روح المعاني) للألوسي: (هذا ونص بعض أصحابنا: أن للزوج أن يضرب المرأة على أربع خصال، وما هو في معنى الأربع ترك الزينة، والزوج يريدها، وترك الإجابة إذا دعاها لفراشه، وترك الصلاة في رواية، والغسل والخروج من البيت إلا لعذر شرعي، وقيل: له أن يضربها متى أغضبته... ثم يقول: ولا يخفى أن تحمُّل أذى النساء والصبر عليهن أفضل من ضربهن إلا لداعٍ قوي، فقد أخرج ابن سعد والبيهقي عن أم كلثوم بنت الصديق رضي الله تعالى عنها قالت: (كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ فخلّى بينهم وبين ضربهن، ثم قال: «ولن يضرب خياركم»، كما قال عليه السلام: «لا تضرب الوجه، ولا تقبّح (لا تقل قبّحك الله)، ولا تهجر إلا في البيت»، فهو ضرب تهديد وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيد امرأة قط ولا خادماً ولا ضرب شيئاً قط إلا

أن يجاهد في سبيل الله)[1]، وقال عليه الصلاة والسلام عندما شكت له امرأة ضرب زوجها: يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ثم يعانقها ولا يستحي، فالمؤمن يستحي[2] أن يهين امرأته كالعبد.

٤ ـ فإن أطاعت المرأة فيجب الاستغناء عن الضرب، وقد قال الأستاذ محمد عبده: (إن أطعنكم بواحدة من هذه الخصال فلا تبغوا بتجاوزها إلى غيرها، فابدؤا بما بدأ به الله سبحانه من الوعظ، فإن لم يفد فليهجر، فإن لم يفد فليضرب، فإن لم يفد هذا أيضاً يلجأ إلى التحكيم، ويفهم منه أن القانتات لا سبيل عليهن حتى في الوعظ والنصح فضلاً عن الهجر والضرب، وقد صرّح كثير من المفسرين بوجوب هذا التريث في التأديب... كما يقول في مكان آخر: إن مشروعية ضرب النساء ليست بالأمر المستنكر في العقل أو الفطرة فيحتاج إلى التأويل فهو أمر يحتاج إليه في حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة، وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه وإذا صلحت البيئة وصرن يعقلن النصيحة ويستجبن للوعي، أو يزدجرن بالهجر فيجب الاستغناء عن الضرب)[3].

٥ ـ التحكيم: والأولى عدم الوصول إليه في الخلاف عملاً بحديث رسول الله ﷺ: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» حيث أن

---

(١) رواه ابن سعد.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نقلاً عن كتاب المشاكل الزوجية وحلولها: ١٠١ـ١٠٣.

تدخل الوسطاء ربما يزيد المشكلة ويوسع الخلاف بدل إنهائه، ولكن إذا لم يتمكنا من الوصول إلى حل للخلاف بينهما فقد أوجب الله إرسال حكم من أهل الزوج، وحكم من أهل الزوجة وهنا هو الأفضل، ولا مانع من أن يكونا غريبين، يحضران من قبل الزوجين، أو من قبل صالحي المسلمين. ومهمة الحكمين التوفيق والإصلاح ما أمكن والسعي للجمع بين الزوجين وإزالة الخلاف قدر المستطاع ولكن لن يكون جمع ولا تفريق إلا بإذن الزوجين فإن كانت نيتهما صالحة ومرادهما حقاً وخيراً يوفق الله بين الحكمين لحل النزاع وإزالة الشقاق، وإن لم يمكن هذا فالتفريق بينهما بالطلاق خير، والله تعالى يقول: **﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾**، ويقول سبحانه: **﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾** ففي حالة استحالة العشرة الحسنة بينهما وازدياد النفور والشقاق، فالفراق بالطلاق خير من حياة بغض وشقاق، وجحيم لا يطاق، وعلى الزوج أن لا يلجأ إليه إلا إذا تعذر الوفاق، وامتنع التفاهم أبداً وقد جعله الإسلام أبغض الحلال إلى الله كما أخبر المصطفى ﷺ وأمر ألا يطلق الرجل زوجته إلا في طهر لم يجامعها فيه، فإن كان الخلاف أيام الحيض، صبر على زوجته حتى تطهر، وهذا من حكمة الإسلام ورحمته بالمرأة والأسرة والمجتمع، فربما كان هذا الخلاف بسبب الحالة المرضية أيام الحيض أو النفاس، وربما كان الغضب نتيجة ثورة نفسية أو نزغ شيطاني يتلاشى مع ذكر الله والاستعاذة من الشيطان والنظر في العواقب، والصبر لدى النوائب، فإذا لم يكن ذلك فللمسلم أن يطلق زوجته طلقة واحدة وهذا هو الطلاق السني وما سواه فيدعى مخالف لشرع الله وتبقى الزوجة في بيت زوجها إلى أن تنتهي عدتها، رجاء أن تعود إلى رشدها فتعتذر

عن أخطائها، وأن يتوب الزوج إلى صوابه ويتراجع عن عزمه على الطلاق وطالما أن العدة لم تنته وهي ثلاثة أشهر قمرية تقريباً فللزوج أن يعيد زوجته إلى عصمته دون عقد ومهر جديدين، ولا يشترط رضى الزوجة فيه، وإنما يقول لها: راجعتك أو أنت زوجتي، فقد عادت الحياة الزوجية من جديد، أما إذا انتهت العدة فليس له إعادتها إلا برضاها وبعقد ومهر جديدين، فإن كرر الزوج الطلاق ثلاث مرات فقد انتهت الحياة الزوجية بينهما ولا تعود إلا إذا تزوجت المرأة غيره على سبيل الدوام وليس عن تواطؤ بينهما[1] لإعادتها إلى زوجها الأول، فإن طلقها الثاني بحريته ولم تطب الحياة بينهما ثم انتهت عدتها فلزوجها الأول أن يتزوجها من جديد إن قبلت بذلك ولا بد من عقد ومهر جديد، وفي ذلك يقول فضيلة الشيخ عبد الله ناصح علوان: وان الحياة الزوجية غالباً ما تستقيم بعد عودتها إلى زوجها الأول، لكونها جربت الحياة الزوجية مع غيره فلم تجدها أحسن ولا أفضل[2]، وفي المثل: (لا تعرف خيره حتى تجرب غيره)، وفي هذا يقول سبحانه: **﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾**[3].

---

(١) يحرم زواج التواطىء وهو باطل بحديث النبي ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له» رواه أحمد والترمذي والنسائي.

(٢) آداب الخطبة والزفاف: ص١٤٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩ـ٢٣٠.

الفصل السادس

(ماذا تفعل المرأة إن كرهت زوجها)

على المرأة المؤمنة أن تصبر على زوجها، كما أنه أمر بالصبر وحسن العشرة، فلا يحسن الانفعال بسبب وجود أخطاء وعيوب، فليست العصمة إلا للأنبياء، والله تعالى يقول: **﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**[1]، وما أجمل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل أراد تطليق امرأته لعدم حبه لها: (ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب، فأين الرعاية وأين التذمم؟) كما رد على رجل جاء يشكو سوء خلق زوجته، فعرف أن عمر صابر على زوجته كذلك فقال له عمر: (يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي: إنها لطابخة طعامي، خبّازة لخبزي، غسّالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن بها قلبي عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك) فقال الرجل: يا أمير المؤمنين... وكذلك زوجتي. قال عمر: (فاحتملها يا أخي، فإنما هي مدة يسيرة)[2] كما أن على المرأة أن تصبر ما أمكن على زوجها وتحسن معاملته وتطيع أوامره فإنها من طاعة الله وليس لها أن تطلب من زوجها طلاقها إن لم يكن هناك سبب شرعي يقتضي ذلك فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أي امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[3]، وكذلك يحرم عليه تطليقها من غير بأس وضرورة ملحة

---

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) الكبائر للحافظ الذهبي ص١٨٩.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

لحديث النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1]، ومع هذا فقد أعطى الإسلام المرأة حق طلب التفريق عند وجود الضرر أو العجز الجنسي، أو عدم النفقة، أو الغيبة الطويلة المنقطعة، والقاضي ينظر في الطلب فإن اقتنع أنه حق وتعذر عليه الإصلاح فله أن يفرق بينهما، كما أعطاها سلاحاً آخر عند كرهها الشديد له وعدم التمكن من العيش معه بطلب الفراق مقابل التنازل عن المهر أو بعضه وهو ما يسمى (بالخلع) ودليله قوله تعالى: **﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾** وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاءت امرأة ثابت بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكن أكره ـ الكفر في الإسلام (وتعني كفران حق الزوج) ـ فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لثابت: «اقبل الحديقة وطلّقها تطليقة»)[2] وهكذا تظهر عدالة الإسلام ورحمته بالخلق جميعاً فلكل حقه وعليه واجبه وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾**[3]. إنه تشريع الحكيم العليم وما أنزله إلا رحمة بالعالم وإرشاداً لهم إلى طريق سعادة الدارين، لو أننا سرنا على نهجه القويم، وعملنا بإرشاداته المضيئة لكنا اليوم أرقى وأقوى وأعلى أمم الأرض كما سعدنا به من قبل وسُدنا ورشدنا، وكنا أرحم الفاتحين وأساتذة العالمين وأهدى المرشدين، وصدق الله حيث يقول: **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا﴾**[4].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه.
(٢) رواه البخاري والنسائي.
(٣) سورة الكهف: ٤٩.
(٤) سورة الإسراء: ٩.